

أضواء البيان

@ 471 @ بواسطة نقل صاحب الدر المنثور والقرطبي في تفسيره . وقال القرطبي بعد أن نقل هذا : وهذا في غاية البيان لمعنى الآية . وقد ذكرناه في كتاب (التذكرة) ثم قال : وقال العلماء ليس في الجنة ليل ولا نهار ، وإنما هم في نور أبداً ، إنما يعرفون مقدار الليل من النهار بإرخاء الحجب ، وإغلاق الأبواب . ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب ، وفتح الأبواب . ذكره أبو الفرج الجوزي والمهدوي وغيرهما منه . وهذا الجواب الأخير الذي ذكره الحكيم الترمذي عن الحسن وأبي قلابة عن النبي صلى الله عليه وسلم راجع إلى الجواب الأول . والعلم عند الله تعالى . قوله تعالى : { تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا } . الإشارة في قوله (تلك) إلى ما تقدم من قوله . { فَأُوْءَلٰٓئِكَ يَدْخُلُوْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَمُوْنَ شَيْئًا جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمٰنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ } . وقد بين جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه يورث المتقين من عباده جنته . وقد بين هذا المعنى أيضاً في مواضع أخر ، كقوله تعالى : { قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ } إلى قوله { وَأُوْءَلٰٓئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْاَمْوَالَ وَالْاَنْفُسَ فِيهَا خَالِدُونَ } ، وقوله : { وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْاَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ } ، وقوله تعالى : { وَسَيَقَى الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّ هُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا } ، وقوله { وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } ، إلى غير ذلك من الآيات . ومعنى إيراثهم الجنة : الإنعام عليهم بالخلود فيها في أكمل نعيم وسرور . قال الزمخشري في (الكشاف) : نورث أي نبقي عليه الجنة كما نبقي على الوارث مال الموروث ، ولأن الأتقياء يلقون ربهم يوم القيامة قد انقضت أعمالهم ، وثمرتها باقية وهي الجنة . فإذا أدخلهم الجنة فقد أورثهم من تقواهم كما يورث الوارث المال من المتوفى . وقال بعض أهل العلم : معنى إيراثهم الجنة أن الله تعالى خلق لكل نفس منزلاً في الجنة . ومنزلاً في النار . فإذا دخل أهل الجنة الجنة ؛ أراهم منازلهم في النار لو كفروا وعصوا الله ليزداد سرورهم وغبطتهم ؛ وعند ذلك يقولون { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَدْرَهُ تَدْرِى لَوْ لَا أَن هَدَانَا لِلَّهِ } . وكذلك يرى أهل النار منازلهم في الجنة لو آمنوا واتقوا الله لتزداد ندامتهم وحسرتهم ، وعند ذلك يقول الواحد منهم : { لَوْ أَن لَّهِ } .

